مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الجرائد العالمية

التاريخ : ١١/٤/١٩٧٧

السادات ... ورحلة عمل

بقلم : هارالد فوكة

فرانكفورتر المجاينة الالمانية فى ٣/٣١ — جـاء الرئيس المصرى ثانية الى بون فى زيارة عمل — بدون عظمة بروتوكول — وقد جاء فى نفس اليوم تقريبا الذى وقعت فيه — منذ عام مضى — زيارته الاولى الرسمية لعاصمة ألمانيا الاتحادية • لقد أصبحت العلاقات بين مصر والدول الديمقراطية الغربية ، بالتدريج أكثر توافقا ، وذلك منذ أن ناور السادات فى مايو ١٩٧١ بالموالين للسوفييت محل ثقة (ناصر) سلفه فى السلطة • ولكن مازال هناك أمام المصريين بعد الايام اللامعة التى قضوها بعد حرب أكتوبر التى نشبت بين العرب واسرائيل فى عام ١٩٧٣ ، والتى أصبح فيها السادات أول المتباحثين فى صراع الشرق الاوسط ، كما اكتسبت أيضـا بالنسبة للغرب أهمية باستمرار — مازال هناك أمامهم طريق طويل ، غير واضح المعالم ، ووعر • فهل مـازال الغرب عامة فى حاجة الى السادات حتى اليوم ؟•

لقد طرح الصهاينة السؤال بدون تعقيب. وغالبا ما يكون «البروتين» اليـــومى «الدبلوماسى» فى السياسة الخارجية هو عدوا لدودا ذا عقلية فاترة. ومنذ الايام التى تولى فيها كيسنجر وزير الخارجية الامريكية مهام أعماله ، تعود أيضـا دبلوماسيون غربيون على اعتبار السادات شريكا هاما فى المحادثات ولكن الرأى القائل ، بان استمراره فى «سياســة الخطوات الصغيرة» لن يساعده مستقبلا فى عمليه الاقتحام ، هو رأى قديم . ولم تعد سوريا والاردن تهتمان بذلك ، وبالاحرى كذلك الاسرائيليون .قد يكون من المفيد لمكانة السادات ، أن يصبح ثانيـة الشخصية الرئيسية الدبلوماسية أيضا فى مرحلة مباحثات جديدة فى الشرق الاوسط . ومع ذلك لايمكن الاستنتاج من ذلك ، أنه يجب على الغرب أيضا أن يسعى لاعطاء الرئيس المصرى مثل هـذا الدور .

وتتغير الاحداث فى الشرق الأوسط بسرعة. لقدكان «جنشر» وزير خارجية ألمانيا الاتحادية يتوقع قبل أسابيع قليلة تغييرا فى مفهوم الفلسطينيين العرب ، وقد صرح بهذا التوقع بلهجة مؤكدة أيضا فى مواجهة دبلوماسيين عرب . لقد بدد اجتماع المجلس الوطنى الفلسطينى الذى كان ينتظر بتوتر ـ والذى أنهى مشاوراته بالقاهرة فى ٢٠ مارس ـ بدد مثل هذه التوقعات تماما . وينص شعار اجتماع القاهرة على القتال حتى النصر النهائى . ومنذ ذلك الحين صرحت الحكومة ـ الى حد ما ـ ، أنها لاتعتبر نفسها الوصية على الفلسطينيين . ولا يستطيع السادات حاليـــا أيضا ممارسة ضغط سياسى مطلقا على منظمـــــة التحرير الفلسطينية التى ترأسها عناصر متطرفة .

وفى ذلك الوقت لا يعتبر الرئيس المصرى مطلقا كوسيط من أجل عمل المزيد من الاتصالات مع الفلسطينيين • ومع ذلك يجب أن تظل مصر ـ لسببين آخرين ـ محورا اساسيا لدبلوماسية الغرب تجاه الشرق الاوسط • ولا تزال الدول الصناعية على مدى سنوات تعتمد على البترول الخام الوارد من البلاد العربية ، وقبل كل شىء على بترول المملكة العربية السعودية • ولا يعلم المرء فى أوربا الكثير عن أرض الذهب هذه (البترول) ـ وعلى العكس من ذلك فان رجال السياسة العرب يعلمون ، كيف أن الوضع الداخلى فى المملكة العربية غير مستقر •

واذا كان لزاما على السادات رئيس الدولة الوقور بالقاهرة تجنب حاكم مثل نمط القذافى ، فانه قد كان من الممكن أن يتعرض أيضا عرش المملكة العربية السعودية لخطر جسيم ، وكذا مصدر البترول بأكمله الممول للغرب •

واذا ما دعمت جمهورية المانيا الاتحادية اقتصاد مصر بكرم بالغ ، فان ذلك يستلزم منها أن تدفع كثيرا • ومن وجهة النظر السياسية البحتة يعتبر السادات بالنسبة لبون شريكا على جانب من الاهمية •• وقد حاول الشيوعيون التابعون لموسكو اسقاطه عن طريق انتفاضة جماهيرية فى يناير • واسوة بأوروبا الشرقية فانه كان يجب أن تحل الدكتاتورية الماركسية محل التجارب التى تمارس فى القاهرة لعمل نظام الاحزاب المتعددة • ومن حسن الحظ فشلت محاولة الانقلاب • واليوم يمسك السادات بيده زمام السلطة ثانية بحزم •

وكيف أن الرجل المصرى واسع الأفق قد تحرر قبل ست سنوات ، بمفرده تماما . وبدون مساعدة من الخارج ـ من جهاز سلطة ناصر ، فهذا عمل بارع تطلب قدرا من الذكاء والحيلة فى المجال السياسى على مدى سنوات طويلة . ولقد فحص الصحفى موسى صبرى ، وهو من الموثوق فيهم بشدة لدى السادات ، أحدث تاريخ عن الشرق فى هذه المرحلة ، أولا بموضوعات هامة بالنسبة للفترة الحديثة ، وذلك فى مجلد وثائقى . ومع ذلك يعلم المرء فى الغرب دون دراية بهذه التفاصيل ـ بأن السادات يؤيد الحرية البرلمانية .

لقد قامت غرب أوروبا فى السنوات الاخيرة بعمل بعض الشىء من أجل تعضيد الشجيرة الرقيقة أى الديمقراطية فى البلدان مثل:اليونان ،والبرتغال وأسبانيا . ولا يمكن أن يكون مصير الديمقراطية المصرية غير هام بالنسبة لاوروبا . وبالتأكيد لا تقاس ممارسة الديمقراطية فى بلد النيل بمقاييس غرب أوروبا . غير أن السماح اليوم فى برلمان القاهرة بمعاودة ممارسة النقد علنا ، وعلى سبيل المثال توجيه النقد الى الوزراء ، ورئيس الحكومة ، وحتى لرئيس الجمهورية ، فهذا يعنى الكثير . فمنذ أكثر من ربع قرن لم تكن تسود فى مصر حرية بهذه الكثرة .

ان الرئيس السادات رجل يرغب كما انه يقوى على تبادل الآراء بصدر رحب • ولقد استخدمت فى اللقاءات الاخيرة بين وزراء الخارجية الالمان والمصريين الكثير من الالفاظ المنمقة ، كما وجد الكثير من البريق الدبلوماسى ومادة ضئيلة جدا • حسنا أن يستطيع الرئيس المصرى الآن مواصلة تبادل الرأى الذى بدأه قبل عام مع مستشار المانيا الاتحادية ••

وذلك لأن الوضع فى منطقة التوتر فى الشرق الاوسط سيظل أيضا هذا العام موضوع السياسة الكبرى ليس فقط فى القاهرة ، بل أيضا فى واشنطن وموسكو وبون •